الأ فور ريد

رواية

إرادة حياة

إسراء عطاالله

جميع الحقوق محفوظه © فور ريد للنشر الإلكتروني

http://www.4read.net

إرادة الحياة

المؤلف : إسراء عطاللّه

نشر : في إبريل 2017

تصميم غلاف : أيمن بلبل

تدقيق لغوي : أميرة إبراهيم

تنسيق داخلي : فور ريد

إهداء :

إلى من علمني الحروف .. إمي

إسراء عطاللّه

إذا الشّعْبُ يَوْمَاً أرَادَ الْحَيَاةَ فَلا بُدَّ أنْ يَسْتَجِيبَ القَدَر

وَلا بُـدَّ لِلَّـيْـلِ أنْ يَنْـجَـلِـي وَلا بُـدَّ للـقَيْدِ أنْ يَنْكَسِـر

وَمَنْ لَمْ يُعَانِقْـهُ شَـوْقُ الْحَيَاةِ تَبَـخَّرَ في جَـوِّهَـا وَانْـدَثَر

إرادة الحياة

يضرب الفأس بيديه القويتين بلا رحمه ، كالحياهتضرب واقعنا لتخرج أجمل ما فينا ، كأطفال الغد السائرين الحالمين على جدائل الايام ،يصرون على ما تبقى من أحلامهم فيستجيب القدر لتبقى .....

أراقبه كلوحه رسام شهير،يتعانق الجمال فيها والخيال ، لتتلخص عناوينها بين اساطير الكفاح والرياح وأساطير الغد المنسي بلا ذكرى ونجعل لها ذكرى.....

يتصبب العرق السخي من جبينه ليلامس أنفه، المرسوم بدقة ، لتنزل قطرات تتماوج لتضاهي ألق الفضه.....

كالخيال أتناوب على رؤيته وأتوه بين الشيء او اللاشيء ، .... بين الحب او اللاحب

إصرار العالم على الإستمرار يجعلني أتسائل ما هذه القوة .....

هي بلا دافع هل هي مضطربه!!!

أجيب كالعالم العارف ....تحد لا يكل ولا يتعب، يتكلل بقوة ارض وقوة ايام وشعب ثائر على أصناف العذاب مجتمعه.....

نظراته!!!!!!!

ثاقبه نافذه لأبعد الحدود، مسافره ، كمملكة أناسها غير عاطفيين وعاطلين عن الحب عن الحلم أو ربما اعتزلوا الغناء قسراً

..... غناء الأبديه

أبدية الحب وسيمفونية االعشاق ، لاتحمل في طياتهاغير الفراق ، فراق أحبة ووعود مذبوحه ومعلقه ، خلف أشجار الغابات السريه .....

للأسماء ميزة في عالمنا ، تعبر عن أصحابها وتترك في ملامحهم وصفاتهم الكثير من معانيها اللغويه ، ثائر هو على نفسه وثائر هو في وطنه وثائر هو في حبه ...

وثائرة انا في حبه ..... ربما كان حبا

أدعى ليلى ....

كنت النقيض له دوما ، ملامح طفوليه لا تخبر بشيء ، تتغنى للمسات الربيع ، غامضه كأسرار كون وصامته .....

أدعي الجبن وفي صدري ثورة وطن مشتعله،حبي تائه بين السكون والمراوغهأبجديات حبي كما أنا غامضه ، تشوبها ، أسئلة كثيره أعمق من الأجوبه ، لي قلب خافق كضربات فأس لا يحركها الا هو ، في سكونها أغدو قطه، بسيطه تفضل الصمت والهدوء.....ربما الهروب

هل ستتلاقى عوالمنا ، أم تراها أحلام زائفة ، لا تتلامس أناملها ،

أنا وثائر

أمشي في ذلك الشارع الطويل المعبد بالحجارة البيضاء التي تمتاز بها مدينتي ، مرتدية ذاك الوشاح ذو اللون البنفسجي ، لطالما احببت هذا اللون والوشاح ، أضعه على رأسي مغطية به شعري المموج، وأتركه كي ينسدل بشكل انيق وبخفه متناهيه على عنقي ، لطالما أعجبت بنفسي ، ألبس تلك النظارات السوداء الكبيره تخفي بعضا من ملامح وجهي ، وأرى من ورائها ، جمال مدينتي .....ضاربة الأرض بصوت حذائي اللطيف ، وأقترب من بيت عمي ، تستوقفني شجرة اللوزطالما أحببتها وأحببت الجلوس بجانبها ،، أنسى نفسي وأنا جالسه هناك ، أحببت الربيع دوما ، أغني للزهور أراقصها وأحتضنها وأداعبها لأتركها بسلام، كي يغازلها غيري ،يتناهي إلى سمعي صوت أقدام قويه ، تزعجني وتستفزني ، تعكر علي صفو أفكاري .... تعذبني

ألتفت لأجد ثائر يطالعني ،يضع يديه في جيوب بنطاله ويسدد إلي نظراته التي تخيفني دوما ، وتذيبني مثل قطعة سكر، أشيح بوجهي وألتقط أنفاسي بشيء من العزم الكبير،يتوقف الصوت المستفز وظل طويل يظهر

أمامي ، وبياض يكتسي تفكيري ، فقط لحظه صمت وقد طالت .....

ثائر:ماذا تفعلين هنا

ليلى :صمت وتنظر الى اللاشيء

ثائر: ألا تسمعيني

ليلى : تلتقط انفاسها وتسدد له كلمات تعبر عن مدى حنقها ، لا دخل لك في تصرفاتي ، أظن انني مسؤولة عنها

ثائر : وقد فتح عيونه على إتساعهما أنتِ تحادثيني !!!!!

ليلى تمثل البرود : نعم هل هنالك آخر ، وتغمض عينيها تحت نظارتها

.....

يقترب مني وأنفاسه الحارقه تلفح وجهي ، أسمعها لتجعل ضربات قلبي كطبل افريقي تتصاعد وتهوي ، يمسك يدي الصغيره بكفه الخشنه ويسحبني ، وراءه ماشية بسرعة لا متناهيه وبعصبيه كبيره جداً ، أستجمع ما بقي لدي من قوة ، لأسحب يدي من يده، ولكن المحاوله باءت بالفشل الذي جعلني مسلوبة الإرادة للحظات ، صرخت صوت من اعماقي ..... اتركني.

ماذا تريد مني ، لتسقط نظارتي على الأرض وتسقط معها دموعي السخية الحارقة ... نعم كرهته ، كرهت أسلوبه معي ، وكرهت نفسي لأنني شعرت بالضعف أمامه ،

يوقفني أمامه ويجعل عيني في عينه

يقول لي : أنت ملكي ، وملكي وحدي ..هل تودي ان تعرفي ما بالي...سأحدثك ، أنني أغار عليكِ من عيون الناس ، أغارعليكِ من شجرة اللوز تلك، أتودي أن تسمعي اكثر؟

أغار عليك من همسات العصافير ، من الصباح الذي تتنفسيه في شرفتك ، وأنا أراقبك ايضا ، وأنتِتتصنعين فن الإختباء ..... هل سمعتِ

يتهاوى شالي العزيزعن رأسي متفاجئاًايضا من قوة الكلمات ، مطلقاً سراح خصلات شعري المتماوجة، لتدلي بصدمتها أمامي وأمامه ، بشكل منتفض وعشوائي ، يرفع ذقني الصغيرة الى الأعلى .....هل فهمتِ .

ابتعد عنه مثل خيال إمرأه ضعيفة ...

الأحداث تمشي بسرعة وبقسوه كبيرة ، لا أستوعب شيء ...البرد الذي اكتسى جسدي فجأة ، ورجفة جعلت اسناني تصطك ببعضها بعضاً ، ما الذي حصل ، أنظر إليه مرة اخرى كي أصدق ما يجري ، عيونه مثل الجمر ووجهه يملأه العرق ، ونظراته أضحت غريبة هذه المرة ، يبتعد عني للحظات ، يغمض عيناه يتنفس بعمق ، ويقترب مني بحذر شديد ، ويهمس لا تخافي وانا لا أفهم سوى الإبتعاد عنه ، وعن نفسي وعن الوجود ، أود ان أحتضن نفسي وأبكي كثيراً ، هناك حرقة في صدري ، لا تخافي يقول ثائر ، يرفع شالي على رأسي وبأنامله يلملم خصل شعري ، ويعيدها تحت غطائي ، بهدوء تام ، ويضع كفه خلف رأسي ، ويضمني بقوة كبيرة إلى صدره ، ويقول لي ، أنا آسف... آسف .... أنا آسف يا صغيرتي .....

كطفلة صغيره أتنهد على صدره ويمسح هو على رأسي ، وأهدأ....وأهدأ لتعمل لدي حاسة الشم وأنا على صدره العريض كعصفورة ترتجف وتسكن ، لبضع لحظات ، لتشم رائحة الأرض الطيبة ، رائحة العطر الرجولي الصارخ ، الذي يقتحم أنفاسي عنوة كي أستفيق ، وأبتعد عنه مسرعً كأنني تداركت أمراً عظيما ، ليبتسم ثائر إبتسامة المنتصر ....ويقول أتضح الأمر وأنت أيضا تحبينني .....

.....

تتسارع خطواتي هاربة ، لا أدري هل إلى بيتي أم إلى نفسي ،صورته وصوته كالحلم أو الرؤيا تطاردني ، اذا تحبيني .....كسراب أود أن ألامس حقيقته فيرحل ، منذ متى يشعر بالحب تجاهي ،، لم اتوقع مشاعره تلك لقد أذهلني ، لم أتوقع جرأته أمامي ،.....من أنا بعد حبه ومشاعره تجاهي .....

كطيف أمشي جسدي النحيل يضطرب خوفاً وذعراً ، يضطرب في عالم غريب علي ، مبهم المعاني ، أمي على الباب ، يزداد ضياعي ، ما بك يا ابنتي ، رجوت اللّه كي لا تسألني ، لكنه عز وجل رفض دعائي ، أمسك الحائط بجانبي باحثة عن إتزان ، سؤال أمي وأفعال ثائر أضاعاني ، ترفع أمي يدها كي تسندني ، أبتعد عنها ، عن أي احد يريد ملامستي ، أمي وقد تجلدت بصبر كبير ، وكثير من الحزم ،نظرت إلى عيني تود أن تطمئن أن تبعد عني خوفي ، ما بك يا ابنتي ؟

فراغ كبير وبياض ، أمسك بلهفة كبيره أعصابي ، أحاول أن يقوى صوتي ، أهذبه كي يخرج معتدلاً مصدقاً لما أقوله ، محترما أمي ، ورأفة بي وبها ، ورزين لأبعد حد ، شاهدت ذئباًهناك بالقرب من بيت عمي ، وينخفض صوتي تدريجيا مع الكذبة ، أي غباء هذا يجعلني اقول تلك السخافات ، توافق امي على أقوالي لأنها تعرف عنادي ، لكن تتمنى أن تصدقني ليطمئن قلبها تجاهي أن تقتل خوفها الذي وصلها مني ، تتركني ونظرة عتاب تودعني بغير غضب ولكن بحزن كبير ، عسى أن اخبرها أن أتراجع في قراري ، لقد كذبت عليها ، الكذب يا أمي يخرجك من مواقف لا يحمد عقباها ، يخرجك ملائكي في أعين الناس وكريه عند اللّه ، ولتكن كذبة بيضاء يا اللّه ، رحمة بأمي ورحمة بالضعفاء ضعفاء المشاعر يا اللّه .....

أصعد إلى غرفتي وخفة بالغة أشعر بها في جسدي كالأشباح ، منزعجة وقلقة ، أضرب زجاجات عطر ومزهرية ورودي ، ودفاتر أودعت بها أحلامي ، أغتسل وألبس ثياب نومي ، كرهته نعم ، وكرهت رائحته التي لا تغادرني ابدا .....

أجلس في زاوية غرفتي ، أحتضن نفسي ، تهدأ أنفاسي الآن ، أتنفس في عمق وترتخي أعصابي شيء فشيء ، لما أنا غاضبه منه ، ربما أزعجتني طريقته، ولكنني أحبه ، هل أخاف الحب في العلن ، أخجل من ضعفي ، أشعر بالضياع ، أجد بجانبي قلم رصاص ، ضممته بيدي وأخذت أرسم على الجدار الذي بجانبي ، واختلطت دموعي بصوت غنائي المبحوح ، حزناً على نفسي وخجلا من ضعفي

.....

ثائر

أي غباء سيطر على أفعالي ، كيف تعاملت معها بهذا الشكل الجبان ، ولكنها عنيدة، لم تكن عنيدة أبداً ، انها حساسة ومشاعرها رقيقة ، كغيمة بيضاء ، كبراعم الزهور الناعمة المتألقة على الأشجار ،

، صوتها الباكي الماسي اخرجني عن تفكيري ، ما اجملك يا ليلى ، حتى في بكاءك الذي اتعبني أحبك ، تمنيت ان أمسح دموعها وأجعلها تشعر بالأمان ، ولكن الحب بعثرها ، جعلها في صراع بين خوفها وكبريائها ، أجعليني أشاركك خوفك ، أشعرك بالفرح ، أرسم لك إبتسامه على محياك ، أشاركك آلامك ، الحب جميل يا ليلى لا تقسي على نفسك ، أتركيه هكذا يأتي كأقدار الحياة .....

ولكنك تحبيني وأعلم ذلك ، رتبي أفكارك سأكون معك من بعيد ، وأعدك ستقوى وتظهر إبتسامته ثائر من بين قلقه رغماً عن الواقع والحياة .

في هذا الوقت بالتحديد تصل رسالة نصية قصيرة تعزل ليلى وثائر عن عالمهما ، تقول غدا سيكون الإجتماع ، ليستفيق كل منهما على واقعه ، واقع وطنه المرير .

واقع وطن

تلك الرسالة القصيرة حياة أخرى ستضمنا أنا وثائر ، عالم الواقع الذي كنت دوما بعيدة عنه .....ذلك العالم القاسي الذي كان يبتعد عني بإرادته، وانا أمشي نحوه بإرادتي ، وتزداد خطواتي كل مره ثقة وتؤدة وعزم ، أنظر إلى الرسالة وابتسامة غريبة خرجت من بين دموعي ، ظهرت على شاشة الهاتف ، تنبئني عن شخصيةأخرى تسكنني لم أكن أشعر بها من قبل ، نعم عندما يتعلق الأمر بوطني أخلع ثوب الأنوثة وأرتدي زي الرجال ، هل سمعت عن فتاة بمائة رجل ، أنا تلك.

الوطن غالي ، والحب شعور آخر

في عالم التجارب ، وفي كل مرة أولى يسعى المرء كي يكون الأبرز والألمع ، بريقه واضح دوماً وله أسلوب مختلف

جداً ، فإن ترك علامة ، فليعلم نفسه أنه سيكمل ، وإن لم يترك تلك العلامة ، فليعلم انه مجرد هاو لا أكثر ، وأي مجال هو ، وأي طريق هو .....

طريق الواجب والإنتقام معاً ، لكل مقلة دمعت ولكل طفل سرقوا منه مستقبله ، ولكل شاب ومثقف وكهل سرقوا منه وطنه ، ليناضل في دولة أخرى ، كل نظرتهم إليه مهجر، يتسول الهوية هناك ، ليثبت انه الأجدر ..

ولكل لسان تجرأ وشكك في وطنيتنا وقال .. باع وتجبر .....

أخرج ثائر قطعة خشبيه قد بانت لها بعض الملامح من درج خزانته وأخذ يعمل بها بخبرة النحات ، ذو الطبع الصبور والحكيم ، .....نعم ليست هذه المرة الاولى ، ذلك الحمل الوديع الذي يعمل في الحقل لن يستكين لمحتل يتغنى بالسلام ويتحكم بمصائرنا وأحلامنا ويتعطش لرائحة دمنا ، ألذي لا يشبعه أبداً .

على مائدة السلام الكل متورط ، في استنزاف دمائنا ، ونحن المسؤولون ايضا عن المحافظه على شرف وطننا وأرواح شعبنا.

أنا ...ع(55) هذا هو اسمي الحركي ورقم واحد في العمليات التفجيرية في أراضي المحتل الغاصب ، انا من يخطط ومن ينفذ دائما ، بتأني وحنكة الذئب المتمرس ، وفرقتي تختار

بحذر شديد من قبل مدربين متمرسين ، وهم قابلين للتغير في كل مره حفاظا على سلامة العمليه .

ها قد بدأت ملامح ليلى تخرج من عتمة الخشب ، لتتنفس الحريه على يداي بتروي المحب وعين العاشق الحالم ، كم اشتقت لها ، كلمة واحده يا ليلى تشفي ذلك القلب العليل ، لا تزيدني لوعه ، استفيق على دقات باب حجرتي ، علمت من وهن وضعف الضربات أنها أمي ، أخفيت المجسم بعد أن لففته جيدا بورق جرائد ، وفتحت الباب مسرعا ، كي لا تطول وقفة أمي على الباب ، أهلا أمي وآخذ منها أكواب الشاي وأضعها على المنضده هناك ، أقبل يدها التي أحس فيها بكثير من الضعف والبرودة ، كم يتعبني ذلك الشعور ، أود أن أضع صحتي في جسدها ، كي تقوى ، لكن لا مفر من حقيقة الواقع أبدا ، أجلس أمي على كرسي وأجلس عند قدميها فطالما أحببت تلك الصورة ، التي أجلس فيها قربها ، تزيدني قوة دوما واطمئنانا ، وهي تربت على شعري بكثير من الحب ، فهي لي جنة اللّه على الأرض ، كم أنا قوي ومستفز في أعين الناس ، وكم أنا طفل وديع في حضورها، حبي وتقديري لها غير متناهي ، تسبق ليلى أيضا بمراحل في حبي لها ، انها الثانيه بعد أمي .

الأم : ثائر أود أن أسألك سؤالا

ثائر بنظره حاده إلى أمه : تفضلي يا أمي كلي آذان صاغيه

الأم : علمت أن ليلى كانت قادمه عندنا اليوم ، ولم تأت ، هاتفتأمها وعرفت انها كانت قادمه بالفعل ، إلى بيتنا ، ولكنها صادفت ذئب حسب تعبيرها ورجعت الى بيتها ، هل صادفتها يا بني ؟

ثائر : وقد انتفض قلبه ، لا يا أمي ، وإبتسامه باردة سكنت شفتاه ، وأخذ يحدث نفسه أنا ذِئب يا ليلى .... أنا

هل رأيتني بهذه الصوره فقط ، هل أنا ذئب في نظرها ، ربما كرهتني ، آه يا ليلى بما تفكرين الآن .....أتمالك نفسيفي دهشة ، لأبين لأمي بما أوتيت من برودة أعصاب كم هو الأمر غريب ، أقف لأجلب الشاي ، تمسك أمي يدي و بنبرة المؤمن بقوله لا تكن لها ذئباً يا بني ، كن لها كل شيء أولا تكون ، تمنيت لو أن الأرض تنشق لتبتلعني في جوفها ، خجلت من أمي ، ومن نفسي ، أمي تقف وتقبل جبيني ، وتقول : وأنا افضل أن تكون لها كل شيء يا بني ، إنها تستحق أكثر من ذلك أيضا ، تمضي وتتركني جثة هامده في مواجهه الموقف ، لوحدي ، وأتفق مع نفسي أن أذهب صباحا الى شرفتها ،هل ستكون هناك ....أم هل اعتزلت طفولتها .

.....

يغادر ثائر بيته في الصباح الباكر ، متجها الى شرفة من أرقت نومه ، ويقف في ذلك المكان الذي كان يراقبها منه ، هناك من بعيد كي لا تراه ،

كالقناص حاد النظرات ، نظراته لا تخيب أبدا ، وينتظر وينتظر ولكن لا فائده من إنتظاره أبداً ، يساوره القلق والشك في آن واحد ، قلقه عليها ، وشك بأنها غادرت حبه ، ويستدير بكثير من اليأس ليذهب الى إجتماعه كي لا يتأخر ، ففي وطني لا وقت للحب ولا وقت للإنتظار يا ليلى ، في وطني شكلت تلك الشخصية الفظه التي لا تعجبك ابدا ، ألى اللقاء يا ليلى فمصيرنا يحدده قدر لا يخطأ لوهله

.....

ليلى

فنجان من القهوة ، أشربه سريعاً ، أقف أمام المرآه ولكن هذه المره إختلفت النظره أيضا ، واجهت نفسي ونظرت اليها من الداخل وأمرتها أن تهدأ وتنجز ما قررته ، راقت لي نظرة التحدي تلك ، وقررت أن تكون طابعي هذه الفترة ، خرجت من البيت بسكون كي لا ينتبه لي أحد ، ، فأنا من أسره مهما عاصرنا من تحضر ، تبقى قيودها للفتاة ملزمة ، ولا تتغير أبداً ، وانا أتفق مع ذلك دوماً ، ولكن أدعي التحرر ، وفي باطني تشدد جاهلي عنيد ، لكن هذه المره فلتعذرني القيود ، لا أعرف موقف عائلتي من تصرفي ، ولكن أذكر عندما زف أخي شهيد ، كم زغردت امي واستقبلنا المهنئين في بيتنا ، فقد كان أخي يزف ، كان عرس الشهيد .....

لبست ثيابا سوداء ، حسب الإتفاق ، وأخذت قناعي معي في جيبي ، لا يوجد حقائب هذا من قواعد الإلتزام .

مشيت في مدينتي صباحا ، والكون كله يحتفل بي ، وأنا مزهوة بنفسي بعض الشيء .. الأشجار تستفيق من نومها لملامسة الصباح لها ، والنسائم الباردة تثلج أنفي ، ولكن استقبلها بترحيب وأتنفس بها ملئ صدري ، لأستشعر الصباح الجديد وأشعر بنفسي الجديدة ، أقف في المكان المحدد بضع دقائق ، لتصل عربة سوداء اللون كبيرة ويظهر عليها طابع الجدية والحزم ، تقلني للإجتماع ، وأنا بالطريق ، أتذكر كم عانيت لأصل هنا وكم تدربت ، على نقل المعلومات بالشكل المطلوب ، وبدوون شكوك من أحد لأكون محل ثقة ، هكذا نكون في الوطن كلنا يدافع من موقعه وله أسلوب مختلف ، والغايه تحرير الوطن لانريد الحل السهل ، سندافع بأصعب الطرق .

بعد ساعه تقريبا من الوقت وصلنا أخيراً ، وبحزم كبير ترجلت من العربه بخطى ثابتة ، ومتزنة ورشيقة جداً ، إقترب مني السائق وأمرني أن ألبس القناع ، وربط على عيناي قطعة قماش ، وقادني الى المكان المحدد ، وبعد عشر دقائق وصلنا الى هناك .....

قاعة كبيرة ، والمقاعد تصطف بشكل متفاوت ، ومن رائحة الرطوبه العاليه فيها ، علمت أننا تحت الأرض ولا يوجد منافذ هناك ، الكل يرتدي مثلي ولا أحد يلتفت او ينظر للآخر ، لا يوجد ضوء واضح الإ على اللوحه المعلقه هناك

على الحائط ، جلست على مقعد خشبي يحمل رقمي وهو (23) دخل رجل ضخم القاعة ، وبكلمات ترحيبية سريعة جدا للجميع ، أدخلت على نفسي الهدووء ، ليبدأ في الشرح الدقيق جدا للعملية ، ووضع كل رقم في مكانه المناسب ، وعندما جاء دوري حفرت الكلمات في رأسي ، كالنقش حفظتها كأنها ملامحي التي عايشتها طوال عمري ،

وبنفس طريقه الإستقبال رجعت الى بيتي .

.....

من أكون لها !!!!

ثائر: أرجوك يا عامر لا وقت للمزاح ابداً ، لا يحتمل الوقت ذلك

عامر: ولكنني أقصد ما قلت تماما

ثائر :ماذا تعني ،هل أنت مدرك حساسية الموقف

عامر :لكنها ليست أي فتاة ....لقد أثبتت جدارتها وكفاءتها بكل ثقة تامة

ثائر : وقد علا صوته فتاة يا عامر !!..إنها فتاة ، وستكون مصدر قلق لي للحفاظ على سلامتها طوال الوقت، انا احتاج لمساعد ولا احتاج لحمل ثقيل على ظهري ، ماذا لو اعتقلت هل فكرت للحظة في ذلك ، أرجو أن تضع مكانها شخص آخر

عامر : لن يكون هنالك آخر يا ثائر لقد أطلعت على تفاصيل العملية كاملة...وليس هناك وقت كافي للتدريب..

ثائر : صمت

عامر : ما بك يا ثائر بما تفكر ؟

نظر ثائر نظرة طويلة وحادة إلى عامر وأخذ معطفه بشيء من الغضب وخرج من الغرفة و أغلق الباب ورائه كالرعد اهتزت النوافذ من شدته

عامر : لن تتغير يا ثائر ، أرجو لك السلامة

.....

لماذا أنا منزعج لهذه الدرجة الأنها فتاة ، ولتكن فتاة ، ألمهم أن تنجز عملها بأكمل وجه ممكن ، أشعر بضيق شديد ، هذه العملية بالذات تشعرني بضيق ، لا أعرف ما الذي حدث لي ، في كل إنجاز كنت أشعر بالفرح وأتلذذ بشقاء الجبناء أمامي لكن هنالك شيء عظيم يكتم أنفاسي ، شيء يجعلني أفكر وأتروى أكثر وأكثر .....
وإحساسي لا يخيب أبداً ومنه مصدر قلقي وإزعاجي .... لماذا يا عامر تثقل صدري وتضعني هذه المرة تحت الضغط الكبير

.....

يا رب لا ملجأ لي سواك كن معي وثبت قلبي على القرار اليقين.....

هل هذه ليلى !!....نعم إنها هي ، ولكن لماذا ترتدي الملابس السوداء غريبة هذه الفتاة ، ولكنها ...جميلة جدا في هذه الملابس ، كنجمة يحيطها الظلام من كل مكان ، لتضيء الكون بهدوء جمالها وأناقتها وخفة ظلها ..تسعدني للحظات وتضفي على ملامحي الفخر لحبي لها ، ولذوقي الرفيع لإختيارها هي .....هي من دون نساء الكون لا أرى سواها ولن أرى في سمائي نجمة غيرها .....

تتوقف ليلى للحظات هي وصديقتها التي كانت برفقتها ، لتجلس على مقعد خشبي في الطريق ليزداد جنونه وحنقه عليها ....كيف تجلسين هكذا ببساطة في الطريق العام ، كم أبغض هذا التصرف منك ، لوهلة أشعر أنني أريد تحطيم الشارع بما فيه من وجود ، أقترب قليلا ومن وراء الشجر لأستمع إلى صوتها العذب الرقيق الذي يصاحبه بحة خفيفة كصوت ناي أزعجه الصمت الطويل ليغادر جزيرة الهدوء بكل رقي وسحر يتحدث ويثير القلوب ، سأبقى حتى تعود للبيت ، كظلك دوما أنا، أراقبك لكن من بعيد ، أخشى عليك حتى من نفسي ،طاهرة كنت وستبقي كطهر الحمائم البيضاء في الأفق البعيد .....

.....

ندى : قلت لك إنه معجب بك جداً

ليلي : من هو ؟

ندى : كريم يا ليلى ، أخي كريم

ليلى : لست من تلك الفتيات ، أرجوك لا ترهقيني بتلك الأحاديث وأنت تعرفين رأيي بها مسبقا لست كذلك.....

ندى : كنت دائما محط إعجاب الجميع في سنوات دراستنا ، كنت دائما أود أن أسألك سؤال لماذا الهروب في كل مرة إذا كان هنالك معجب لما الرفض دوما ، سؤال حير جميع الفتيات آنذاك لماذا يا ليلى .....

ليلى : ليس هناك سر خطير ، أنا أحيا بسعادة وهدوء كوني وحدي أعشق نفسي وحياتي بتفاصيلها الدقيقة ، باللّه عليك لا أود أن أخوض في تلك الأحاديث لأنها بالفعل لا تهمني أبداً.....

ندى : وثائر

ليلى (بكثير من التوتر) : وما به ثائر

ندى : هل يعني لك شيئا

وأخذ ثائر يقترب أكثر وأكثر لم يكن يتوقع ذلك السؤال أبداً في هذا الوقت والمكان ، التوقيت وحده يجعله في ذهول تام ، لحظات (صمت ليلى) جعلت العالم يتوقف لدقائق منتظراً كلمة منها لتزهر الدنيا من جديد وأحيا أنا معه من جديد .....

ليلى : قلت لك يا ندى لا أحد يعني لي شيئا أرجوك توقفي عن هذا .....

ندى : وأخيراً ، سأعلم أخي بهذا سيدهشه هذا الكلام

ليلى (وفكرها غادر المكان إلى ثائر): سأذهب إلى البيت وداعاً

.....

يضرب ثائر يده في السياج القريب من مقعد ليلى ليحدث انحناءه بالغة فيه، من كريم ومن سيكون لك في المرات القادمة ، وماذا سيفعل كي تكون نجمة في سمائه ، سأحرقه وأحرق الدنيا إن تسللت منه نظرة واحدة إليك ...هل فهمتِ ...يمسك يده ويضغط عليها بكثير من العصبية ما فائدة كل هذه القوة وهذا الجسد بدون حبك يا ليلى ،حبك من يجعله يحيا بعبير السعاده والأحلام ، لن أعيش في ظل حبك وأقف كالمتفرج من بعيد ...

أعدك أنك ستكون لي ، وعندي إيمان قوي بهذا يعادل إيماني بحقي في وطني والدفاع عنه لأخر نفس ... هنا وطنك يا ليلى ويشير إلى صدره ، هنا ستحيي وتموتي ، وعلى ساعدي هذا ستقيمي عصور تاريخك وفي كفني مملكتك حدودها من كافة الجهات أنا ، ولن أتنازل عن ذلك

.....

أشتاق للمسة من يده كي أسافر معها لعالم الجمال إلى الدفء.....إلى الأمان ، أحببته يا ندى هكذا بدون مقدمات كبركان جارف دخل حياتي ، لم يعطيني الحق في الرفض أو

الإيجاب ، رغم كبريائي وتحفظي وقسوتي المتصنعة ، تفتحت على صدره كالزهور البيضاء ذاك اليوم ، لم أكن مخطئة أبداً ، كحق الزهور في الخروج عنوة رغم قسوة الأرض ، خرجت من البرود إلى عالم السحر ... رغما عن خوفي وقلقي وجبني رغما عن جنونه وعصبيته رغما عن الحياة أحبه ولا أستطيع أن امشي قدما بدونه ، فأنا وجدت نفسي بعد ضياعي في وحدتي ، لم تعد وحدتي تعني لي الكثير يا ندى ... لم تعد .... ولكن

تلك العملية التي قمت بالتخطيط للإشتراك بها رغم متاعبي ورغم كل شيء سأفعلها وإن عدت سالمة منها سأخبره بكل شيء وأنا أسند رأسي على كتفه ، عن حبي عن إشتياقي عن لهفتي للحديث معه....ربما عن الحرية التي منحني اياها في حبه لي ، سأكون على طبيعتي في حضوره وأضحك كثيراً كالأطفال ... نعم لن أتصنع البرود، سأمسك يديه ونتراقص كالفراشات الملونة تبهر الكون بجمالها .....

أود أن أراه ، أن أرسم ملامحه بدقة في مخيلتي ، أن أستمد منه العزم الذي طالما تحلى به ، أود أن أستمد الحب الكبير منه ، ليجعلني ثائرة في وطني ، قدماي تقودني بلا وعي إلى بيته ، ولحسن الحظ يفتح لي الباب .....

دهشة عظيمة تكسو ملامحنا ثوان قليلة تقول كل شيء ، تحكي قصص العتاب والتسامح والحب وتتساءل وتجيب ،

وترحل ليحضر الحب بقوة الحياه بقوة القدر ، كم تمنيت أن تكون نظارتي السوداء حاضرة أيضا لأتلصص من ورائها عليه

كقطعة ثلج وضعت بكوب ساخن شعرت بنفسي وهو جبل عتيد لا يحيد أضع يدي الصغيرة على جبيني خجلا أو ربما هروبا أو محاولة لتغير الموقف .... أرجع خطوة للخلف لتتلاقى نظراتنا من جديد أخفض رأسي مسرعة وقد قررت الرحيل ليمسك يدي ويهتف إلى أين؟

ليلى : أمي ..... أنا كنت .....بيتنا

ثائر : أمك بالداخل يا ليلى .... هيا أدخلي

يترك يدي ويقف واضعا يده في جيبه ليفسح لي المجال .... تفضلي يا ليلى أهلا بك ...لماذا ترك يدي ، أود أن أبقيها في عالم السحر ذاك، وأنا مارة بجانبه أشعر بأنفاسه التي شعرت بها آخر مرة ، لتجعلني أسرع الخطى إلى الداخل وفي صدري طير يرفرف بأجنحته وتتضارب أنفاسي منه.....

لقد صعد ثائر إلى غرفته بشكل سريع جداٍ،شيعت خطواته بنظرات خاطفة ، أجمل شخص رأته عيناي بعد والدي رحمه اللّه ..... لماذا تلبسين الأسود سألتني أمي لتعيدني إلى الواقع

ليلى : إنه يوم الوفاء

الأم : ماذا تقصدين ؟

ليلى : ذهبت لقراءة الفاتحة على أرواح الشهداء وأودعتهم السلام وزرعت لهم بذور الريحان .. إنه يوم الوفاء

الأم : بارك اللّه فيك يا ابنتي ، لكنك تأخرت كثيراً

ليلى : صادفت صديقتي ندى بالطريق وسرقنا الوقت في الحديث

الأم : أرجو أن تنتبهي يا ابنتي فأنت على علم تام بالأوضاع الحالية

ليلى : لا تخافي يا أمي لن أكررها (ولسان حالي يا رب لا تجعلني سببا في حزنها)

ثائر وهو يستمع لكل كلمة من حديث ليلى وأمها .....

إنها في بيتنا ، قلبي لم يدرك هذه الحقيقة يكاد أن يطير من الفرح ، أخشى عليه، لهذا صعدت إلى غرفتي مسرعاً ، أود أن أسلمك إياه سالما معافا وقويا لا ينبض إلا بك ، كم أرغب أن أجعلك أسيرتي و أكون مليكا لك يا أميرتي ، عندما مرت من أمامي وددت أن أطوقها بذراعي ، أحدثها عن حبي لها ، أن أنظر لحريق عيناها التي قتلتني بهما دوما وسهرت الليالي شوقا لهم وخوفا عليهم من متسلل ، أعذريني يا ليلى لن أكون إلا بطلك ، لن أكون الطرف الحزين أبداً ....

.....

أهلا بك يا ليلى في بيتنا.. لطالما أحبتني امرأة عمي وكيف لا وأنا الفتاة الوحيدة بالعائلة التي كانت دوما تحظى بحب الجميع لها .

أخذ ثائر القهوة من يد أمه وعمل على توزيعها على الحاضرين بكل لباقة ورقي ، جعلني الطرف الأخير وأقترب مني على غفلة منهم وهمس في أذني أحبك يا جبانة ، ورحل مثل سحابة صيف ،(وتركني في صراع بين القوة والضعف بين الثقة والحيرة بين أن أقول له كل شيء أم أمضي صامتة كعهده بي)، ليجلس بالقرب من أمه واضعاً ساعده على كتفيها بكثير من المحبة ، كم أحترم هذا الحب وأجله ، وددت في هذه اللحظة أن أكون مكملة لهذا الحب ، أضيف له الكثير من المرح والعطف ، أن أخرج ثائر الطفل الذي أشعر به من ذاك الغاضب الوسيم ، ابتسم لفرحه(أود أن أضع سعادة الدنيا في قلبه)وأمه سعيدة جداً به، وكيف لا تسعد وهو وحيدها الذي لم تنجب غيره، لتكون له الأم و الأب بعدما أرتقى والده لمرتبة الشهداء، وثائر بعمر الزهور ، لا يعرف والده إلا من خلال الصور ، هكذا في وطننا نحتفظ بالصور ونتوارثها بكل حذر ، فهي من ترسم من غابوا عنا وفي القلب لوعة لرؤياهم ، في الصور دوما ننظر إلى العيون ونستجدي منها الحكايا ،حكايا الألم أو الفرح أو بعض الكلمات تختبىء من ضعفنا وتستتر

لن أتكلم أعذرني يا ثائر هنالك أشياء أقوى وأسمى من أن تقال هكذا وبكل بساطة أستفيق على صوت ثائر لم تعجبك القهوة يا ليلى ؟

أضم الفنجان بتوتر وارتشف القهوة على عجل ، وهو يختلس النظرات نحوي ويضحك علي بسبب تصرفاته المستفزة تلك ..

.....

كانت سهرة جميلة يا ليلى تقول أمي

ليلى : نعم كانت سهرة ساحرة

الأم : ماذا؟

ليلى (وقد تداركت نفسها):جميلة يا أمي ولكنني متعبة وأود أن أنام

الأم : تصبحين على خير

وقبل أن أصل إلى سريري تصل رسالة من ثائر على هاتفي

ثائر : هل تودين أن تقولي شيئا .....يا ليلى ؟؟؟

ليلى بكثير من الصبر و التروي : ؟؟؟

ثائر : قولي يا ليلى فالقلب لم يعد يحتمل صمتك .... تعبت، نعم تعبت من حبك أرحميني ، ارحمي هذا القلب وترجلي عن عليائك.....

ليلى (وقد جلست القرفصاء على سريرها وجذبت غطائها بقبضة يدها وضمته إلى صدرها): هل تعدني

ثائر بكثير من الاستغراب والفضول : نعم أعدك ولكن بما !!!!!

ليلى : أن لا تتركني أبداً ، أن تنتظرني ؟؟؟

ثائر وقد شعر بخوف ليلى وقلقها : ماذا هناك يا ليلى ؟

ليلى : هل تعدني ؟

ثائر بقلق واضح : نعم أعدك .... أعدك

ليلى : وأنا أعدك أنني سأقولها في الوقت المناسب

ثائر : الى اللقاء (ليقف بالقرب من النافذة ينظر إلى اللاشيء ، كل مرة أضيع في صمتها وسكونها، في فكرها،غامضة هي دوما وأنا أود أن أطمئنها كوني قوية يا ليلى لا داعي للخوف حرري نفسك وقوليها ....)

.....

وكقطة تحتاج إلى الأمان والدفء غادرت ليلى غرفتها لتلتصق بأمها لتختبىء من قوة حبها في حضن أمها

إذن هو حب

للفراش سر لا يفهمه الإ مسلوبي الحرية ، للفراش أقول سأنافسك عز وقومية ، ضعني في مخيلتك وتهادى في عالمي واقترب مني دوما فالحياة لا تقبل الضعيف أبدا وتنبذه ، لأنه اختار سجن التخاذل ولم يسمع لنشيد النفس الثورية.....

انطلق في الصباحات الدافئة مشيا على الاقدام ، جمال المدينة ساكن وهادىء وصوت فيروز ممزوج برائحة القهوة والهال ، يجعلني أتمنى أن أحلق عاليا لأعانق النسمات الرقيقة الناعمة ، ألاعب الاطفال وأبتسم لهم ويبادلوني قبلا في الهواء ما أجملهم وما أصفى قلوبهم الجميلة ، كم أحب الحياة ، هذا الوطن يستحق، يستحق جمالنا، ونفوسنا الرائعة تستحق حياة تناسبها ، القوة التي تورثنا إياها الأرض ليست صدفة وليست عبثا ، هنالك تخطيط قدري كي نكون شعلة الجهاد ... لكن التعبير عن حبنا لوطننا مختلف تماما ، فالارض مقدسة ونحن أهلها يجب أن ندفع الثمن وإن كان دمنا فهو رخيص أمام قدسيتها هكذا نحب الوطن، لنا طقوس مختلفة هنا ، أمشي في الشارع وكل تصورات الأمل تتراقص في مخيلتي لست الاولى او الاخيرة في وطني ولكنها المرة الاولى التي ستجعلني أحيا.....

أحيا من جديد.....

وأنا أمشي في الشارع العام أرى أيضا الإستفزاز والعنصرية أرى الإهانة التي يعيشها وطني من قبل جنود الاحتلال ، ما ذنب ذاك الكهل أن يستهزىء به من شاب وقح يحمل سلاح أثقل منه ويسترجل عليه .....

أي ضعف يمتاز به هذا السخيف الوضيع ، لكن الكهل يدافع عن نفسه بقوة الجبال و الدمعة في مقلتيه تحتاج أجيال

كي تفهم ، ومن سيفهم ونحنا أبتلينا بمفقودي الأخلاق ، أود أن أمسح دموعه بحجابي وأقول له لا تحزن فمقامك عالي ، أعلى من الحب وأقرب من حكايا الخيال.....

في هذا الوطن في كل يوم يزف شهيد والأم تبكي فرحا ونصراً ، تبكي عزاً فالمشاعر تختلف أيضا في هذا الوطن ، في هذا الوطن تهدم البيوت حقداً وانتقاماً وهنالك من يعمر بهمة النحل مراراً وتكراراً .....في هذا الوطن لا وقت للطفولة لا وقت ، فلعبة الاطفال هي الحجارة ونهاية اللعبة إما نصرأو موت برصاصة .....في هذا الوطن يخرج المتفوق عنوة عن الحياة والواقع ، يقف ويقول نحن شعب العلم ، على تلك الشمعة البسيطة نؤلف الكتب ونخترع تفردنا،..... تعانق أحلامنا السماء طموحا ، وتنزل مطراً يروي أرواحنا عطشا في التميز ، عطشا لترك بصمة تدل على كيان شعب سرقت حضارته نهبا ، ولسان شعب لن يمنعه أشخاصا ، وسلام ينزف دمنا يوما بعد يوم ، والصمت المطبق المتفق عليه ضمنيا لن يردني لن يعزلني .....

لن يعزلني ابدا

في هذا الوطن يخيرنا القدر بين الشهادة والحب و تنتصر الشهادة دوما ، وإن خسرنا الشهادة وهي مطلبنا ،نصنع الفرح بأناملنا صناعة المحترف لا نقبل بها هزيلة ابدا ،نريدها قوية تهتز لها الارض وتبكينا .....

نعم تبكينا

نريدها مع من نحب ، نريدها أزهارا وربيعا نريدها فجراً نريدها قهراً لأعادينا .....في هذا الوطن غاب العدل ،حقوق الطفل والإنسان لم تعد تعنينا ، في هذا الوطن يحكم السجين فينا أعواما وسنينا ،حتى اذا وافته المنية لا يعطي حق الدفن التي تتفق عليه الشرائع بل يودع في الثلاجة أعواما وأعواما حتى تنتهي مدة حكمه ، فالقهر يا ثائر أكبر من حبنا بكثير

ولكني تحررت يا ثائر من خوفي وضعفي تحررت منه ، فالحب هو الدافع دوما لكي نقوى ونسجل عناوين أهدافنا بقلم الأمل وأوراق الاحلام ، من سيسلب احلامنا ، المجنون فقط من يفكر في سلبها منا ،يحاربون من ، وماذا يتوقعون !!...

يحاربون الحق، يحاربون اليقين ، ألشمس لا تحجب بغربال تتسرب اشعتها في عين المحتل وتفقده الإبصار ليتخبط كما يجري الآن وتكون نهايته قريبة .....على أيدي الرجال والنساء والأطفال فنحن يد واحدة مهما وجدنا من الخذلان

.....

.....

.....

في مخازن سلاح العدو، لا توجد أخطاء وإن وجدت سنقتلعها من جذورها، النجاح واجب في هذه العملية ، نحن لا نقتل بل نتلف أشياء تهدد أمننا و مستقبلنا

وأرواحنا بدون رحمة ، نزرع المتفجرات بكل دقة متناهية ، لا أفكر بشيء سوى النجاح .....

ذاك القائد الذي تحت امرته أنا ، له رائحة التراب ،هل كل ثائر في وطنه له هذه الرائحة ، للحظات أتذكر الأرض ..الأرض الطيبة لأقف بكل ثبات .....

أمسك المخطط في يدي وتغادر ذاكرتي كل الأشياء الإ الملاحظات ، اندمج بشكل سريع في التصميم ، لقائدي برودة أعصاب وهدوء تجعلك في ذهول تام ألتمس منه إهتماما يجعلني أرفع التحية لأبناء وطني الأخيار ، لا حديث هناك ، لا شيء سوى العمل الدؤوب المرسوم بدقة عالية جدا، ننجز أولى الخطوات بإتقان ، نظرة مفاجئة تتسلل من الضوء الخفيف الذي يدخل من النافذه بيننا تهز المكان ، ثائر أنه ثائر ،نظرة تجعل لساني يثقل ، تجعلني لا أعي شيئا ، تعيدني للواقع الذي فصلت نفسي عنه ، ينظر إلي بكل ثبات ويقول ليلى، أرجوه أن يكمل ، يضع يداه على رأسي ويغمض عينيه ، يهز جسده بعنف وقبضة يداه على رأسي ، تجعلني أتالم وأبكي بصمت ، أتحدث له بصوت خفيف وكلمه واحده هي ، أرجوك ، يفتح عينيه وينظر إلي ، أبكي وأتوسل إليه بعيني ، يبتعد عني ويعتصر جبهته بيديه ، أتكلم ثانيه أرجوك ، يمسح دمعة بيديه ودقائق معدودة يعود بها الى العمل وينظر إلى ساعته ، أتأمله وأعيد نفسي معه إلى النصر، رغما عن الحب ومشاعري ومقلتيه ، سأنسى كل شيء ، ستنجح العملية رغما عن كل شيء ،

يخرجني قبله ليطمئن ثم يضع يده على خاصرتي ونمشي سوياً ، ويتصرف في المكان كأنه بيته ، واثق الخطى ورشيق ، تهت من تصرفاته والنظر إليه...اشعر معه بالأمان والدفء والفخر انه من أحب ، لم أخف هذه المرة ، انتصر شعور الحب ، خرجنا من المخازن اللعينة تلك ووصلنا لأبعد مسافة عن المكان والآن يضع يده على كتفي كطفل ، ألجو حار جداً كدت أختنق من القناع ، ألعرق يتسرب من جبهتي لينزل قطرات متقطعة من ذقني الصغيرة ، ولكني أمضي بإصرار ونوع من الزهو أصابني وسعادة غامرة بالقرب منه ،يشعر به الإنسان عندما يتفق القلب والعقل ويكون هناك سلام داخلي لا تفكير الإ بالنصر والحب ، سلام داخلي لا يشعرك بأهمية التفكير هنا ، تصل الى اليقين .....يقين الأفعال ويقين الحب .

نواجه المخازن من بعيد ،ينظر ثائر إلى عيني ويأخذني من يدي ، يجعلني بجانبه ويرفع وجهي إليه، ينظرإلى ساعته ويرفع يده إلى السماء ، ويقول لي انظري وفي نفس اللحظة يطير المكان أمامنا ، ألمشهد كله يحتاج إلى رسام يعالج اللوحة ويدمج الالوان ولكن حتى الفنان لا يستطيع أن يوصل مشاعرنا فلعبته الألوان أما نحن فلعبتنا هنا الإتقان .....

نظرة النصر تلك تجعل لك عنفوان لو حاربك العالم أجمع يكون لك اليقين أنك في نهاية المطاف تكون الطرف الكسبان ، الصوت جعلني أقوى من ذي قبل ، صامده وقويه كما الكون

.....

سكون يملأ المكان العربة موجودة لكن السائق غير موجود شيء يدعو للقلق والتساؤل ،هل تغيرت الخطة ماذا هناك ، وقف ثائر وأعطاني إشارة لكي أتوقف ولا أحدث أي صوت ، لبيت أوامره بكل حذر ، وأخذ يتربص بالمكان بكل الإتجاهات ، شعرت لوهلة أنه يوجد شيء لا محال ، أعطاني إشارة أخرى كي نتراجع ، لنقابل جنديين يصوبان السلاح إلى رأسينا ويأمرونا بالمضي أمامهم حتى وصلنا للعربة ، وبحركة استفزازية سخيفة منهم اقتلعوا أقنعتنا بنفس الوقت لأقابل ثائر مرة أخرى سافرة بدون حجاب .....

ثائر يزأر كالأسد ودموعه تملأ وجهه وينظر إلى السماء، ويأمر الجندي بالإبتعاد عني وذاك يستفزه ويضع يده على وجهي ويرفع شعري ، وقد ترك سلاحه هازئا بي كوني انثى ، يستخف بي إذا ، شعوري بهذه اللحظة كان أقوى من ثائر والجنديين كان أقوى وأكبر من أي تحدي ، أكبر من وجود ثائر والحقائق التي أمامي ، تعاطفت مع القاتل الذي يدافع عن نفسه بل احترمته وشعرت به ، يتجرأ ويضع يده على وجهي ، حقيقة لم أستوعبها أبدا لأجعله يهنأ بإستفزازه برهة ، أنزل بجسدي بخفة سريعةوقد نظرت إلى ثائر كي يفهم ، ومن نظراتي استجاب لي ، وسحبت سكين والدي من حذائي و صوبتها إلى قلبه عدة مرات مرة لأخي ، ومرة لعمي ومرة للمساس بكرامتي ، وفي اللحظة التي فعلت

بها ذاك أخذ ثائر يقاوم الجندي كي لا يصيبني بسلاحه لتنطلق رصاصه في الجو ، القوة التي عادت إلى ثائر أخبرتني إننا خلقنا لنكمل بعضنا خلقنا كي أكون له ويكون لي.....

ثائر : أهربي

ليلى : وأنت؟

ثائر : أهربي ، حرريني ، أهربي كي أقاوم لتعود قوتي ملك يداي

ليلى : سأنتظرك .....هناك

ثائر : سأعود ..... لا تجلسي بالطرقات

أركب العربة مسرعة كطير ينشد الحرية، الريح تدخل حواسي ، لا خطة لا شيء ، فرحتي بثائر إعجابي ويقيني به يجعلني أبتسم إبتسامة بلون الشمس أضرب المقود بيدي وأضحك رائحة الأرض ....هو ثائر

وتنسكب دموع عيناي ..... يا رب كن معه وأعطه القوة كي يستمر .....

يبتسم ثائر وهو تحت قوة السلاح إبتسامة المنتصر ليرتعب الجندي ويديه ترتجفان حتى وصلت شاحنة جنود أخرى ، الكل يحمل السلاح ويوجهه له ويقتربون منه بكل حذر ..... ما أجبنهم وأنا سعيد، الإبتسامة تكبر على شفتاي من كلمات ليلى سأنتظرك ..... ما أجملك كم أنا فخور بك ، لقد فزت بها ، حبيبتي ليست جبانة أبدا حبيبتي قوية جدا، يقترب الجنود أكثر وأكثر وأنا أفكر في ليلى سيكون

هنالك غد ونربي أبنائنا على حب الوطن وندعوهم للشهادة على أرضه .... إنهم يفتشونني الآن لكن لن يسرقوا فرحتي أبتسم أود أن أصرخ من فرحتي.....كم هم جبناء .....تعالى صوتي بالنشيد الوطني بجمال معانيه وجمال الحياة

.....

وفي العربة هناك امتزجت دموع وضحكات ليلى بكلمات تقول :

موطني الجلالُ والجمالُ والسناءُ والبهاءُ في رُباك

والحياةُ والنجاةُ والهناءُ والرجاءُ في هواك

هل أراك سالماً منَعما وغانماً مُكرماً؟

هل أراك في علاكْ تبلغ السِماكْ؟

موطني موطني الشبابُ لن يكلَ همُه أن يستقلَ أو يبيد نستقي من الردى ولن نكون للعدى كالعبيد

لا نريدْ ذلنا المؤبدا وعيشنا المُنكَدا

لا نريد بل نعيد مجدنا التليدْ

موطني موطني الحسامُ واليراعُ لا الكلامُ والنزاعُ رمزُنا مجدُنا وعهدُنا وواجبُ إلى الوفاء يهزُنا

عِزُنا غايةٌ تُشرِفُ ورايةٌ ترفرفُ

يا هناكْ في عُلاكْ قاهرا عِداك موطني

#أحببتك كوطن

تركنا بيتنا بأقصى سرعة لأنه من البديهي أنه سيتعرض للهدم وبدون أي مقدمات ، مشينا في ممر طويل معبد بالحجارة ، وفي آخره حديقة غناء بألوان الزهور وأشجار الليمون والبرتقال ، قطعنا ممر آخر وثلاث عتبات تفصل بين الحديقة وبين ساحة مستطيلة الشكل تفضي لثلاث غرف بجانب بعضها ، لها أبواب مزينة بالنقوش الإسلامية تدل على حضارة قديمة تتناغم مع المكان ، أجواء جديدة تحكي لك قصة أخرى في حياتك .....

شعرت بالهدوء الذي تعطيك إياه الطبيعة في لحظات سكونها والصمت المطبق الذي يجعلك تسمع أنفاسك بكل دقة .....

تمر الأحداث من حولي كأنني لست بالمشهد كأني معزولة عن العالم وضعت نفسي خلف قضبان أفكاري

وأكتفيت....عقلي يعمل بهمة كبيرة جدا ورأسي أجده ثقيل ومرهق ، أسحب جسدي كجثة ثقيلة لا توجد بها روح...روحي هناك في سجون الإحتلال ، دخلت غرفتي أو المكان الذي سيكون غرفتي وأخي يتبعني ، غرفة بسيطة جدا لا أحتاج أكثر من ذلك السرير ، وخزانه للملابس وستائر بيضاء تشعرني بالسكون ، فتح أخي النوافذ وابتسم ونظر لي ... دخلت أشعة الشمس إلى الغرفة بشكل صارخ وقوي كما الحقيقة التي تقف وتخبرك بتفاصيلها وتدعك لتذهب بعد أن غيرت حياتك من حال إلى حال .... شجرة اللوز التي كانت تدخل من النافذة بشكل عشوائي جعلتني أذكر ثائر عيناه وكلماته وشفتاه....

حرريني.....

تلك الكلمة ألتصقت في مخيلتي ولا تأبى أن تغادرها أبدا..... حرريني كمطرقة تضرب عقلي ... حرريني كأجراس الحياة ... حرريني ..كالغد الضائع في ثنايا المستقبل ، أضع يدي الصغيرتين على رأسي كالمجانين وأمشي في الغرفة وأخي يمشي خلفي ..... ما بك يا ليلى أفتح عيناي الكبيرتين بشكل غريب وانظر إليه وأقول ماذا يقصد.....

يرتجف أخي ويضمني إليه ويبكي هو الآخر ويضع رأسي تحت ذقنه أرجوكِ ...أرجوكِ اهدئي قليلا ويخبىء عيناي في صدره ، ليجلسني على أرض الغرفة ويجلس معي ويقول سيعود.....اهدئي ...اهدئي

ليلى : نعم سيعود

خالد : نعم

ليلى : سيعود.....سنفرح سويا

خالد : سنفرح

ليلى : سأرتدي له فستاني الأبيض وتضحك للحظات ..طرزته لي النساء في حينا وكم خجلت عندما قدموه لي :هل تذكر ؟

خالد : نعم أذكر

ليلى : سنغني .....سنغني حتى الصباح تحت شجرة اللوز

خالد : (وقد أجهش في البكاء) تحت شجرة اللوز

ليلى : ونضع أضواء الزينة

خالد : سنضعها

ليلى : وتفرح أمي وأم ثائر

خالد : سنفرح ..اطمئني ويضع يده على رأسي ويتضاحك ويعاملني كطفلة صغيرة ..اهدئي...اهدئي... بعد لحظات يتحدث أخي واختلف صوته الآن الصوت الذي يخرج من بين التشجيع والبكاء معا ، لأصغي له بإضطراب كبير

انظري يا ليلى هناك هدية لك من ثائر

ليلى : ماذا.؟

خالد : نعم أنظري إنها لك

ليلى : أخذتها من يديه وضمتها إلى صدرها بشوق كبير....وضحكت لتقول إنها من ثائر وخالد يبكي ويقول

...إنها من ثائر ... وفتحتها لتجد مجسم وجهها وكامل تفاصيلها ..إنها أنا ...أنظر يا خالد إنها أنا ، لقد صنعها بيديه ..... وخالد يمسح دموعي نعم إنها أنتِ، أنتِ يا ليلى ....هنالك ورقة صغيرة يا خالد

خالد : هل أقرأها لك

ليلى ترد سريعا:لا....لا....إنها لي

خالد: حسنا إنها لك ....حاولي أن تقرأيها

ليلى :تفتح الورقة ....وتقرأ بصوت مرتجف....

(أحببتك كوطن وخبئتك في قلبي كطيف بعيد وددت أن أسجنه فيه ولكن الحب هو النور فأبيت لك العتمة فكوني لي النور كوني لي الحياة كي أذوب في السعادة دون قيود ....انظري إلى أيامنا وابتسمي فالجمال في أن نحرر أنفسنا وأفكارنا ونجعلها تتعالى في عالم السرور حرري نفسك وحرريني.....)

..... تجهش ليلى بالبكاء وتنتحب وتدفن رأسها بصدر أخيها ويبكي هو وتقول سوف أتحرر .. سوف تتحرر يا ثائر وتقول لأخيها كن معي لأقوى ويرد عليها ستقوي ..... سأكون معك سندك وأخاك سأكون ظهرك .....

أمي خلف الباب تبكيني حزنا ويأسا .... تبكي على تلك الطفلة التي كان تسكن داخلي وكبرت قبل أوانها ، أو تبكي على وحدتي التي سأحياها على أطلال ثائر وذكرياتنا معا ، لا أحد يحترق على أحزاننا بلا مقابل إلا الأم ، تفتح الباب

وقد تثاقلت خطواتها وتدعوني إليها أمشي إليها حزنا عليها ، خجلا من دموعها علي ، وعطشا لحضنها الدافىء أود أن أغادر الواقع للحظات فقط للحظات أن أحلم مثل طفل بأشياء ممكنة الحدوث أن أوقف عقلي عن التفكير أن أتنفس بعمق أن ألامس الراحة لثوان لأسيطر على نفسي ..... امرأة عمي صابرة واقفة كشجر الزيتون تنظر إلينا ولسان حالها يردد بعض آيات القرآن الكريم وتقترب منا وتقول يا ابنتي اني اشتاق لرائحة ابني ، تعالي يا ابنتي وتحتضني ونبكي انا وهي وامي ... وانا اردد سأقوى لا تخافوا لن أنكسر ..... سأتحرر...قال لي كوني نجمة ، سأكون نجمته ..... أعدكم أن أقوى والكل يبكي ويجهش بالبكاء حتى تخاذلت قواي وغبت عن الوعي .....

.....

في غرفة باردة الجدران ، شاهدة على ألوان العذاب الذي مر به ثائر يزداد إصراره على عدم الإعتراف وتسليم أصدقائه وعلى رأسهم ليلى ..... تقوم إدارة السجن في مكتب التحقيقات بدور القاضي والمحكمة ، فهي الخصم والحكم في آن واحد ، والجريمة أنكتدافع عن وطنك وشرفك ونفسك ، يتخلصون منا بشكل بطيء والمفروض أن تقف مكتوف الأيدي ....أن ترفض نفسك وتجعلها مهانة أن تموت كل يوم الآف المرات ...أن تكون في الظل ...مر شهران وأنا هنا.. أود أن أرى أمي وليلى ، كم أشتاق لخبر صغير يطمئني عليهما

ولكن مستحيل ..... أتساءل في لهفة هل أعجبها المجسم وماذا قالت هل ابتسمت هل أشرقت عيناها هل قبلته

بشفتيها الناعمتين هل احتضنته مثل طفلها ووضعت يداها عليه ....هل بكت علي ؟أخاف من بكاءها على عينيها اخاف على وجنتيها .... لا تبكي يا أميرتي وسلمي أمرك للّه...هل أمي جالسة مع ليلى تمسك يدها وتهدهد شعرها مثلما كنت أنا ، كوني معها يا أمي فأنت صلبة كما الدهور ... قولي لها إنها كانت زوجتي منذ أبصرت الدنيا ، وأنا أرى جمال الحياة من خلال عينيها أخبريها يا أمي اجعليها تحلق بالسماء ، أرسمي ضحكاتها ، أخبريها عن مواقفي وانا صغير اجعليها تضحك وتقول عني ذاك الغبي العنيد ، أخبريها عن حب الوطن كما أخبرتني كي لا تحزن إذا كنت به شهيد .....

يفتح الباب ويدخل رجل ضخم ويبتسم ثائر في وجه الرجل ، ليغضب الأخير .... يمسك مسطرة ثبتت عليها مجموعة من المسامير ويقول هل ستعترف على مساعديك

ينظر ثائر في عينيه ويبتسم ويقول لا

يقوم بدوره بضرب ثائر بلا رحمة ، وثائر يحاول الدفاع عن نفسه ولكن بلا نتيجة ، يحاول أن يكتم صراخه يحاول أن يقوى ولكن لا بد من الصراخ لابد أن يسمعه اللّه فهو قريب وعدل ، ليصرخ من أعماقه يا رب يااااااااارب أغثني يا اللّه ... جعل الزنزانة تبتهل وتخشع لذكر اللّه وفجأة ترتجف يد الجندي ويغادر المكان بسرعة كبيرة وخوف من ذكر اللّه ، ولسان حال ثائر ... يا اللّه يا اللّه ينام على الارض ويغمض عيناه ..... يتحسس جسده والدم يغطي الأرض ،يتذكر عرقه

المتصبب على الأرض الطيبة ، تاركا دموعه تغسل اللون الأحمر الذي ملأ فضاءه ،دموعه أقوى من الدم ستغسله كله وتغسل عذابه الذي مر به بأشكاله ، لكل تعذيب له ذكرى هنا بين الصبر والتحدي .....وعدم الإستسلام

بدءا بالتعذيب الكهربائي ، والحرق بأعقاب السجائر وصبره ، ومرورا بالتعذيب الذي يسمونه الشبح والركل والخنق والضرب لمؤخرة الرأس

ولتحديه لنفسه ونجاحه ، كل ذكرى لها رعشه تتسرب في جسده .... صبره على ذاك العذاب كان في صلاته ومناشدته وحديثه مع اللّه ....إيمانك أن اللّه له اليد الفاعلة وحده بالحياة يجعلك ترتاح ولا تفكر الا بالسعادة بعد الجراح ، ويستسلم للحظات ويشعر بالهدوء النفسي ومن بين دموعه تدخل ليلى بقميصها الأبيض الملائكي ، وتأتي كنور القمر تتسلل بخفة تضع يدها الصغيرة والناعمة على وجهه وتمسح دموعه ليستسلم لرقة يدها ويغادر وجعه وينام ملىء جفونه.....

اقتادوني للمحكمة ، أحكموا العصبة على عيني ، وخرجت من مكتب التحقيقات لأمثل أمام محكمة فاسدة كممثليها .....

ركبت في عربة ولم أرى النور أبدا حتى وصلت للمحكمة جسدي هزيل ولا أقوى على الكلام أشعر برجفة في يدي ولم يعد يهمني شيء سلمت أمري للّه وحل السلام على قلبي ، عندما لا يكون لك الخيار في شيء ودفاعك ووجودك

مرفوض تفضل الصمت المطبق ولسان حالك يقول (ربي إني استودعتك نفسي وحريتي فردها إلي) وصلت المحكمة وأنا مكبل اليدين والرجلين ، وحولي أربعة من جنود وواحد يمسكني من رقبتي كي لا أهرب ، أدخل قفص الإتهام وأجلس على كرسي ، لا يهمني أحد ..لا أنظر لأحد ..الكل يتكلم ويتحدث ولا أحد يسألني ، لا أحد يعيرني أي إهتمام سكون...

يمسكني جندي ويوقفني ،يصدر الحكم مؤبد، والمؤبد في وطني أي لا تخرج إلا جثة هامدة من سجونه ...النصر لنا ، أللّه أكبر النشيد الوطني يتعالى مرة أخرى من حنجرتي ، ويزلزل القاعة والكل ينظر إلي بحقد وخوف ،خوفهم ذاك هو ما يجعلنا نؤمن بما نفعل ونصبر عليه .

أدخلوني إلى العربة والعصبة ذاتها على عيني ، كانت تحجب الشمس التي أشتقت لها ، وارتخت جوارحي شعور يتملك الشخص عندما يعرف قدره .

في طريقنا ، قبل أن نصل إلى المعتقل ، فجأة دون أي مقدمات ، تهتز العربة بشكل عنيف ، وأشعر بإرتطام كبير ، أتساءل ماذا حدث ، لا شيء فقد أسمع صوت عيارات نارية ، وأشعر بوجع طفيف في خاصرتي ورأسي ، أستسلم للوجع لم يعد جسدي يحتمل ،يستمر إطلاق الأعيرة النارية فترة ليست بالقصيرة ، فقدت كل الشعور إلا شعوري بالألم ، في لحظة تمنيت أن أموت ليرتاح جسدي من التعب ، أنتهى كل شيء لا صوت هناك ، ماذا حصل ؟ أين أنا لا أدري ، أسمع

صوت أقدام تقترب أصرخ من وجعي ، ربما من قدري أنا إنسان هل يوجد من يشعر بي ، ليس هنالك غيرك يا اللّه ، أقول يا اللّه كن معي ، لترفع العصبة عن وجهي وأرى عامر يقول الحمد للّه على سلامتك ، أضحك ودموعي تملأ وجهي ، وأقول شكرا لك يا اللّه ، يا اللّه ...يا اللّه .....وأفقد وعيي

.....

شهران كاملان لا أعرف شيء عن ثائر ، اغسل وجهي وأنظر إلى المرآة وانظر إلى عيناي سيكون بخير وأصدق نفسي وأحترمها وأسعد بها .....

اتخيله الآن بجانبي يقول لي أحبك يا جبانة تتورد وجنتاي وأنظر إلى عيناه

هل أنا جبانة فعلا

يقول لي جبانة في حبك

ما هذه الجرأة التي أكتستني ، انظر إليه مطولا ، وعيناانا تقول كل حكايا الحب ، يمسك يدي وأقول له لا تتركها أبدا خذني إليك يبتسم كما الأطفال ، ويقول لي لن أتركك أبدا ويضع يده على وجنتي ويسحبها بشكل ناعم يجعلني أزهر كما الازهار وأغمض عيناي .....أستيقظ على صوت أمي وهي تدعوني إلى الفطور، أنظر إلى المرآة وألاحظ إحمرار وجهي ، أغسله بماء بارد وأضحك من نفسي ومن ثائر وأقول له أنتظر إنني أعمل الآن في مدرسة سأجعل كل

الطلاب ثائر واجعل كل الفتيات ليلى سأعلمهم حب الوطن ، أود أن أذهب لتناول الفطور ولكنني أتذكر شيء آخر ...أقول له أعمل بعد الدوام مزارعة وألبس قميصك ... رائحتك عالقة به أيضا، زرعت الكثير من شجر اللوز كي .....

كي نلتقي هناك مجددا .....

.....

أبحث عنه كي أرى عينيه لا أجده وأقول في نفسي ...سيعود وسألتقي به هناك.....

.....

ورقة صغيرة بيضاء وجدتها بجانبي ، تقول خرجنا للتسوق ، ولم نرغب بإيقاظك....وداعا....

نظرت إلى الساعة إنها العاشرة صباحا ، والشمس تشرق في الغرفة ، تشعرك بالبهجة وتعطيك طاقة كبيرة ، أبتسمت اذا هذا هو يومي ، اغتسلت ولبست ثوبا قد اشتريته أمس لونه أبيض وفيه أزهار صغيرة وناعمة ، تذكرني ببرتقال يافا أخذني الفستان بجماله لأشتريه ، كأنه صنع لي أقف أمام المرأة مختالة بجماله على جسدي فخورة بنفسي كالمهرة أقف ، رتبت خصلات شعري ونظمتها ، أشعة الشمس التي تسللت على عيناي بينت بريقهما واللون العسلي الصافي يذكرني بزيتون بلادي ، جعلني أبدو مغرورة بعض الشيء ظلال خفيفة من لون الكرز وضعتها على شفتاي ، وشال أبيض على رأسي وضعته بخفة الريح التي تسكن الحياة ، أخرجت كتابي الذي استعرته أمس ، وجعلت صوت فيروز يغازل المكان بصوتها

الملائكي كقيثارة السماء ، وفنجان قهوة بدوون سكر ، وخرجت إلى حديقة المنزل أقصد شجرة اللوز ، وافترشت الارض بسجادة تحمل نقوش تراثنا طالما أحببتها وجلست عليها ، وطالعت كتابي ، عندما أقرأ كتاب جديد أقرأ المقدمة فقط .....

وأغلق الكتاب لأتخيل الأحداث ثم أضع يدي على الغلاف وأنظر إلى صورة الغلاف و أطلق لخيالي العنان كي أعود إلى قراءته استغل السكون الذي بالمكان .....صوت أقدام مزعجة تأتي من هناك ، لن ألتفت أود أن أبقى لوحدي للحظات ، ولكن دقات قلبي تتسارع ، وأشعر ببهجة سارعت للدخول الي ، أمسك سجادتي بيداي وأضغط عليها بقوة ، استجمع قواي لألتفت لصوت الأقدام التي تقترب ، أنها هي ...نعم هي أقف مسرعة والتفت ورائي لأجده هناك واضعا يده في جيبه وينظر إلي ، وسعادة الدنيا في عينيه أمسك بالشجرة م ضربات قلبي التي زادت سرعته ، واجتهد في التنفس يصرخ ما بك ..... ابتسم لا شيء لا شيء أبدا.

أصابع يدي الرقيقة تذهب إليه إلى وجهه أقول لنفسي هو نعم هو ، ليس بالخيال هذه المرة أضحك ويبتسم ثائر وقد دمعت عيناه .....اهدئي إنه أنا يفتح يده ويمدها نحوي ويقول هاتي يدك ونصف إبتسامة على شفتاه وآثار دموعه في عيناه ويهز رأسه تأكيداً لأعطيها له ...أمد يدي وابكي وأقول له لن تتركها عدني بذلك

يقول وأخذ يجهش بالبكاء لن أتركها

أعطيها له ليأخذني مثل ورقة هشة ويضمني إليه ..نبكي أنا وهو ويضع يده على رأسي ويقول سأدخلك هنا ، داخل صدري وأنا أهز رأسي موافقة كالأطفال وهويضحك هل تريدين ذلك وامسح دموعي ..... نعم أريد .....

نضحك أنا وهو ونرفع رأسينا لشجرة اللوز ونهتف بنفس الوقت حمداً لك يا رب .....

النهاية

إرادة حياة

في الحب والحرب ، نكون أو لا نكون
لا تستسلم ولا تكن ضعيفا فالحياه تعطيك فرصة واحده
تكون او لا تكون ..
وإن كُنت كُن كل شيء ولا تقف في الظل
نحنُ من نصنع الفرح صناعة المُحترف
لا تقبل أن تكون هدف بسيط أنظر إلى البعيد وكُن ما تريد

إهداء : إلي من علمني الحَرف .. أُمي <3

بقلم :
إسراء عطاالله

تدقيق لغوي : أميرة إبراهيم
تصميم الغلاف : أيمن بلبل